فقه الواقع

د. محمد طاهر حكيم*

"Muslim Scholars have been debating the causes of the decline of the Muslim *Ummah*. These debates have given rise to an emerging science in the Islamic Studies known as Fiqh Al-Waqi; while this phrase has been coined recently, the science in itself is not the product of the exigencies of the modern period. The Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet (peace be on him) have emphasized on acquiring a clear understanding of the ground realities, the causes of the rise and fall of the nations, the responsibilities of the individuals and the societies in this regard and other relevant issues. Similarly, the great jurists and scholars of the earlier generals also emphasized on acquiring this important branch of knowledge. This paper attempts to clarify this concept and identify and explore the relevant issues.

It also is worth mentioning here that the word Fiqh here does not denote the technical of "understanding of Islamic Law". Rather, it denotes the original literal meaning of the word, i.e. a 'clear understanding'. It is in this sense that this word and some of its derivatives have been used in the Holy Qur'an, particularly in the *suwar* (chapters) that were revealed before the Prophet (peach be on him) migrated to Medina.

Similarly, the usage of this word in the traditions of the Prophet (peach be on him) also denotes a profound understanding of the realities on ground. Thus, when he advised his companions to go to Abyssinia instead of Iran or any other territory, this advice was based on a profound understanding of the ground realities obtaining at that time. His instructions to his companions at the time of sending them to different localities also substantiate this claim. In the same way, his strategic moves and tactics in different wars as well as peace treaties give us guideline of how to deal with the overwhelming problems faced by the *Ummah* today. It is in this sense that we are using in this word in this paper.

The great scholars of the *Ummah*, such as the four great jurists, considered *fiqh al-waqi'* a prerequisite for acquiring a good understanding of the provisions of Islamic Law on any issue. For example, some of them would sit with the traders in the market to understand the mechanism and the variables of the market and to have first-hand information of the commercial transactions taking place therein. Others would concentrate on the habits and customs of the people so as to give proper ruling on the validity or otherwise of different transactions.

To benefit from this important science it is necessary first to appreciates its significance and vitality as well as to understand its bases in the Holy Qur'an and the *Sunnah*. Moreover, it is incumbent to have access to ever-going bulk of information and to remain updated about the different developments taking place in different parts of the world this is more important in the present age because the world has become a global village. It is also necessary to develop the skills of critical analysis and looking to the hidden beyond the apparent. Last but not the least, one has to take active part in the 'mundane' world if he wants to understand it and to change it in accordance with his own world view. Indifference about political upheavals and economic ups and downs or mere complaining about the conspiracies of 'others' without doing the necessary foundations work will not do."

---

* الأستاذ المشارك ورئيس قسم الفقه في كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه. وبعد؛

فإن المتأمل في واقع الأمة الإسلامية في العصور المتأخرة، يتألم لما آلت إليه الحال وما وصلت إليه من مستوى يندى له الجبين، ولا شك أن لهذا الانحطاط أسبابا عدة، من أبرزها بعد الأمة حكاما ومحكومين، عن هدي الكتاب والسنة، وعن هذا السبب نشأت أسباب أخرى، ساهمت في الوضع الذي نعيشه، وجعلتنا في مؤخرة الركب بعد أن كنا سادة وقادة، قال تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس"[1].

أصبح لا يُرى في الركب قومي فقد ... عاشوا أئمة سنينا

وآلمني وآلم كل حر ... سؤال الدهر: أين المسلمون؟

أصبحنا عالة على أعدائنا، وهما على أمتنا، وأدرك أعدائنا سر تأخرنا ومكمن مصيبتنا وأساس بليّتنا، فعاثوا في الأرض فسادا يتآمرون ويخططون، ونحن في غفلة عما يراد بنا.

ولا أريد أن أحمّل أعدائنا كل مصائبنا ومآسينا (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ"[2]، [3].

هناك خلل واضح في فهم كثيرين للإسلام، وقصور واضح في الوعي بتعاليمه، ومراتبها، وفي معرفة الأهم والمهم وغير المهم، هناك عجز في المعرفة بالحاضر المعيش، والواقع المعاصر، هناك جهل بالآخرين، نقع فيه بين التهويل والتهوين، بل هناك جهل بأنفسنا فنحن إلى اليوم لا نعرف مواطن القوة فينا ولا نقاط الضعف لدينا.

ومن هذا المنطلق، فإن جهلنا بواقعنا سبب رئيس من أسباب مصيبتنا وسر تأخرنا، فنحن بحق في حاجة إلى "فقه الواقع". فما هو "فقه الواقع"؟

أولا: لا أعني من الفقه هنا، العلم المعروف لدى الفقهاء، والذي هو: معرفة الأحكام الشرعية الجزئية من أدلتها التفصيلية، مثل أحكام العبادات والمعاملات والأسرة وغيرها، فهذا العلم ـ على أهميته ـ ليس هو المراد بالفقه هنا، بل ليس هو المراد بكلمة الفقه، في كثير مما وردت في القرآن والسنة.

إن القرآن ذكر مادة (فـ ق هـ) في سوره المكية قبل أن تنزل الأوامر والنواهي، التشريعية التفصيلية، وقبل أن تفرض الفرائض، وتحد الحدود، وتفصل الأحكام. ففي سورة الأنعام وهي مكية قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ"[4] وفي السورة نفسها قوله سبحانه "قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ"[5] والفقه في الآيتين

---

1 - الآية 110 من آل عمران.

2 - الآية 165 من آل عمران.

3 - انظر فقه الواقع للدكتور ناصر العمر ص 7- 8.

4 - سورة الأنعام: 98.

5 - سورة الأنعام: 65

معناه: المعرفة البصيرة، بسنن الله، في الأنفس والآفاق، وسنن الله في خلقه وعقوباته لمن انحرف عن صراطه، واقرأ في أكثر من سورة، موقف المشركين من القرآن وقد عبّر الله عنه بقوله: " وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا"[1].

أما في القرآن المدني فقد تكررت المادة في عدد من السور، كلها تنفي الفقه عن المشركين والمنافقين، قال تعالى: " وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ"[2] و " رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ"[3] و" صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ"[4] و"لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ"[5] و" وَلِلّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ"[6]

وبهذا كان لأهل النفاق حصة الأسد من هذا الوصف بأنهم لا يفقهون. وذلك لأنهم يتوهمون أنهم أذكياء، وأنهم استطاعوا أن يلعبوا على الحبلين، ويعيشوا بوجهين، وأنهم خادعوا الله والذين آمنوا، ولكن الله هتك سترهم وفضح ذبذبتهم وكشف خداعهم في آيات كثيرة ففضحوا وخسروا الدنيا والآخرة، فأيّ غباءٍ أكبر من هذا الغباء؟ ولا ريب أن من كان هذا وصفه، ليس عنده شيء من الفقه[7]

إذًا الفقه في لغة القرآن ـ في كثير من آياته ـ هو الفقه في آيات الله وفي سننه في الكون والحياة والمجتمع. إذا كان هذا هو المراد من الفقه فما هو فقه الواقع؟

"فقه الواقع" هو: علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر والمستقبل"[8].

فقه الواقع هو: "معرفة ما تجرى عليه حياة الناس في مجالاتها المختلفة، من انماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث"[9].

---

1 - الآية 25 من سورة الأنعام.
2 - سورة الأنفال: 65.
3 - سورة التوبة: 87.
4 - الآية 127 من التوبة.
5 - الحشر: 13.
6 - المنافقون: 7.
7 - انظر أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة للدكتور القرضاوي ص 21-24.
8 - فقه الواقع للدكتور ناصر العمر ص 10 وفقه الواقع ضوابط وأصول للأستاذ أحمد بوعود ص 22 - 23.
9 - في فقه التدين فقها وتنزيلا للدكتور عبد المجيد النجار ص111.

فقه الواقع هو: "فهم واقع المسلمين من حيث وضعهم الاجتماعي ووضعهم الثقافي من الأمية والتعليم، وحظهم من البداوة والتحضر ويدخل في ذلك مجموع الأعراف والتقاليد والنظم".

إن من فقه الواقع فهم واقع الأمة العقدي والدعوى والتربوي، لتربية جيل الشباب، ليفهموا الإسلام ويؤمنوا به علما وعملا وسلوكا ويحملوا دعوته إلى أمتهم أولا وإلى العالم بعد ذلك.

من فقه الواقع فقه العمل السياسي لاستخلاص الحكم من أيدي الضعفاء والعملاء ليوضع في أيدي الأقوياء الأمناء الذين لا يريدون في الأرض علوا ولا فسادا.

من فقه الواقع فقه واقع الأمة الاجتماعي، للإسهام في علاج الفقر والجهل والمرض والرذيلة، والوقوف، في وجه المؤسسات المشبوهة التي تجعل من العمل الاجتماعي والخيري أداة لتغيير هويّة الأمة وعقيدتها.

من فقه الواقع فقه واقع الأمة الاقتصادي للمشاركة في تنمية المجتمع وتخليصه من التبعية والغرق في الديون الربوية، والعمل لإيجاد مؤسسات اقتصادية إسلامية.

من فقه الواقع فقه العمل الجهادي لتحرير الأمة الإسلامية، ومقاومة القوى المعادية للدعوة الإسلامية والأمة الإسلامية، والمحافظة على حرية الإرادة الإسلامية، واستقلال القرار الإسلامي.

إذن فقه الواقع هو: "فقه أوضاع الأمة وأحوالها على دراسة الواقع المعيش دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الحياة معتمدة على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات"[1].

أساس هذا العلم:

يتصور بعض الناس أن فقه الواقع علم جديد، وثقافة حديثة، وهذا قصور في التصور ونقص في العلم، لأن أساسه في القرآن والسنة، وكلام سلف الأمة، ففي سورة الأنعام يقول الله تعالى: "وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين"[2] ومن فقه الواقع استبانة سبيل المجرمين ومعرفة أهدافهم ومخططاتهم، لهذا جاءت كثير من الآيات مفصلة ومبينة سبل أعداء الله، وفاضحة لمآربهم وغاياتهم. ولنأخذ سورة واحدة تؤكد لنا هذه الحقيقة، إنها سورة التوبة، ومن أسمائها (الفاضحة) لأنها فضحت المنافقين وكشفت عن خداعهم ومؤامراتهم.

أما اليهود والنصارى والمشركون فالآيات التي كشفت عن واقعهم كثيرة جدا، في سور البقرة والأحزاب والمنافقون والحشر وغيرها وهي من صميم فقه الواقع الذي بينه الله تعالى لنبيه وللمؤمنين.

---

1 - انظر: أولويات الحركة الإسلامية ص26.
2 - سورة الأنعام: 55.

وأما السنة فقد حفلت بكثير من الوقائع والشواهد التي تدل على عناية المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذا الجانب. فها نحن نراه صلى الله عليه وسلم يوجّه المستضعفين من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة دون فارس أو الروم أو غيرهم. وهذا برهان ساطع على معرفته صلى الله عليه وسلم مما يدور حوله وأحوال الأمم المعاصرة له، يبين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (إن فيها ملكا لا يظلم عند أحد) [1]. وعندما بعث معاذا إلى اليمن قال له: "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب" فهذا من إدراكه صلى الله عليه وسلم واقع كل بلد ولذلك قال له: "فلتكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ...." الحديث[2].

وكذلك نلمس عمق هذا العلم في غزواته صلى الله عليه وسلم ورسائله إلى الملوك والقبائل وصار على دربه صلى الله عليه وسلم صحابته ومن بعدهم، فكانوا على وعي وإدراك كامل بالواقع، فهذا عمر رضي الله عنه يقول: "لست بالخب ولا الخب يخدعني) والخب: هو الماكر الخداع، فالمسلم كيس فطِن مدرك لما حوله.

ثم جاء دور أئمة الفقه، الذين وضعوا مبادئهم الفقهية أصولا وفروعا معتمدين في ذلك أوضاع المسلمين الواقعية، في عاداتهم وأعرافهم، ومستجدات ما حدث من مشاكلهم، فهذا الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ كان يتعاطي التجارة بنفسه، ومما تثمره التجارة من فقه واقعي، علما بطبائع الناس وأحوال المعاملات ـ كان يجتهد في فقه الدين كما كان إلى جانب ذلك يجتهد في الشطر الأول من حياته على الأخص، في تبيّن الواقع الثقافي والعقدي في المجتمع الإسلامي، بما كان يشدّ لأجله الرحال لمجادلة الفرق المختلفة، ولم يكن هذا "التفقه في الواقع" أمرا عارضا أو شأنا عفويا عند الإمام أبى حنيفة؛ بل كان مبدئا ثابتا، يعتبره أساسا من أسس الاجتهاد، يعلمه لتلاميذه من بين ما يعلمهم من أصول التفقه، وهو ما يبدو في وصيته لتلميذه يوسف بن خالد وهو يتجه إلى البصرة ليعلم الناس حيث قال له: "إذا دخلت البصرة استقبلك الناس وزاروك وعرفوا حقك، فأنزل كل رجلا منزلته، وأكرم أهل الشرف، وعظم أهل العلم ووقر الشيوخ، ولا طف الأحداث، وتقرب من العامة، ودار الفجار واصحب الأخيار، ولا تتهاون بسلطان) [3].

في هذه الوصية ما يشير إلى أن الفقيه لا يكون الفقيه الحق إلامتي انخرط في واقع الناس بجميع فئاتهم، وفقه أحوالهم في نفوسهم وتصرفاتهم.

وكان الإمام مالك يرقب واقع المسلمين في المدينة المنورة ويتعمّق في فهمه، ليتخذ منه أصلا من أصول التشريع وهو ما عرف بعمل أهل المدينة كما كان الإمام الشافعي ينطلق في اجتهاده الفقهي من فهم واقع الناس، في معاملاتهم وأعرافهم

---

1 - السيرة النبوية لابن هشام 280/1.

2 - رواه البخاري 261/3 ومسلم 196/1 وأبوداود242/2 والترمذي 259/3 وابن ماجة568/1.

3 - وصية الإمام أبى حنيفة لتلميذه يوسف بن خالد البصري، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

وعاداتهم، ولذلك كان له مذهبان، مذهب قديم لما كان بالعراق، وآخر جديد لما انتقل إلى مصر. وعلى هذا النحو كان الإمام أحمد حتى رويت عنه روايات متعددة في الحكم الواحد، وعلى غرار هؤلاء الأئمة كان المجتهدون من هذا الجيل في فقههم للواقع، حتى كانت أدلة عدة من أدلة الأحكام تشتق من الواقع، مثل المصلحة المرسلة وسدا الذرائع والعرف وعمل أهل المدينة[1].

مقومات فقه الواقع وعناصره [2]:

1. **القناعة بأهميته:** لا يمكن أن يتخصص أو يستفيد من هذا العلم، من يظن أن فقه الواقع مجرد مزيد من الثقافة، وأن الأمة ليست بحاجة إليه. إنه لا ينتفع من هذا العلم إلا من حصلت لديه القناعة التامة بأهميته وضرورته، على طالب العلم أن يدرك أن من أسباب تخلف الأمة في عصرها الحاضر جهلها بواقعها وما يراد لها، إن الأعداء يكيدون ويخططون وينقضون الإسلام عروة عروة. ضمن تخطيط محكم رهيب - ونحن في غفلة عن استبانة سبيل المجرمين، حتى استحكمت العلمنة في كثير من بلاد المسلمين، تُرى لو تنبه العلماء والمفكرون لهذا الأمر منذ عهد الاستعمار هل يحقق الأعداء ما حققوه في عالمنا الإسلامي، لأن الوعي يقود إلى العمل والعمل يدرأ المخاطر بإذن الله.

   المشكلة إن البعض لديه قناعة أن هذا الأمر لا يعنيه حتى رأينا من يفسر الحديث المشهور (من حسن إسلام المرأ تركه ما لا يعنيه) [3]. أي بأن يترك أمور السياسة وفقه "فقه الواقع" لغيره، بل إن هناك من إذا أراد أن يثنى على أحد منسوبي العلم عدد من محاسنه وصفاته أنه لا يتدخل فيما لا يعنيه. يقصد الأمور السياسية، والأحوال الحاضرة. سبحان الله! هناك فرق بين أن يتدخل المسلم في عمل غيره ــ مما لا يعنيه ــ وبين أن يفقه الواقع ويحكم على الوقائع من خلاله. ومن هناك فالعنصر الأول أن نقتنع بأهمية هذا العلم وأثره في حياة الأمة المسلمة.

2. **التأصيل الشرعي:** من الملاحظ في واقعنا أن أكثر المتهمين بفقه الواقع هم من عباقرة العلم السياسي المعاصر من غير المسلمين - من اليهود والنصارى - ويتسابق الناس إلى استطلاع رأي هؤلاء، من خلال وسائل الإعلام، وكأنهم الحجة وإليهم المنتهى. لذا فإن أقوى مقوّم من مقومات فقه الواقع هو التأصيل الشرعي، وأحق الناس في هذا الجانب هم العلماء وطلاب العلم. ولنأخذ لذلك مثلا، لو قامت حرب بين فئة مؤمنة وأخرى كافرة، فإن المعنى بفقه الواقع ممن يفتقد العلم الشرعي

---

1 - انظر في فقه التدين 129/1 –130 - 21 وفقه الواقع ضوابط وأصول ص 87.
2 - انظر فقه الواقع ص 21 وما بعدها وفي فقه التدين 16/1، 20، 120.
3 - رواه الترمذي في الزهد 607/6 وابن ماجه في الفتن باب كف اللسان في الفتنة 1316/2.

سيحلل الأحداث ويتوقع النتائج معتمدا على الأسباب المادية فقط، فسيبدأ في إحصاء الجيوش، وما لدي كل فريق من عدة وعتاد. والظروف الجغرافية وهلم جرا. بينما المتخصص في ذلك ممن يملك العلم الشرعي سيبين أهمية الأسباب المادية وإن الله أمرنا بالأخذ بها (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة"[1] ولكنه يوضح أن الأسباب المادية ليست إلا وسيلة من وسائل النصر المشروعة، وأن هناك من الأسباب الشرعية، ما تتضاءل أمامه الأسباب المادية فيبنى تحليله ضمن هذا الإطار. "وكَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ[2] " إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ.." [3]وخير مثال حي معاصر: الجهاد الأفغاني: كم كان سيصمد المجاهدون في توقعات الخبراء الماديين؟ وكم صمدوا في تحليل الفقهاء الشرعيين؟ ولماذا لم يحققوا الانتصار النهائي، بعد سنوات من الجهاد؟ لا يدرك تفسير هذا إلا العلماء الربانيون.

إن مشكلتنا اليوم أن الذين أدركو آليات فهم الواقع، لم يؤمنوا بالخطاب الإلهي وكثير من الذين آمنوا بالخطاب الإلهي، لم يدركوا آليات فهم الواقع كما قال الأستاذ عمر عبيد حسنة[4]

3. سعة الاطلاع وتجدّده:

من السنة الماضية أن أيّ موضوع - وإن كان ماديا - يراد أن يعالج معالجة ما لصياغته على نحو معين، يكون من الشروط الأساسية في نجاح تلك المعالجة الانطلاق فيها من المعرفة الكاملة بحقيقته والوقوف على طبيعته وخصائصه. ذلك لأن تلك المعرفة، يتوقف عليها رسم الخط للمعالجة[5].

ونظرا لتشعب هذا العلم وشموله يحتاج المتخصص فيه، إلى كثير من العلوم والفنون سواء العلوم الشرعية كالعقيدة والفقه، أو الاجتماعية كالتاريخ، أو المعاصرة كالسياسة والإعلام وإذا قصّر في أي جانب من هذه العلوم أو غيرها مما يحتاج إليه فسيؤثر ذلك سلبا على قدرته على فقه الواقع وتقويم الأحداث والحكم عليها.

كما يحتاج أيضا إلى قدرة فائقة على المتابعة والبحث في كل جديد، ولا بد أن يكون لديه دأب لا يكل في متابعة الأحداث ودراسة أحوال الأمم والشعوب. فهو أشبه بالطبيب الذي يلزمه أن يتابع كل جديد في مهنته، إذ لو بقي يعالج

---

1 - الآية 60 من سورة الأنفال.
2 - الآية 249 من سورة البقرة.
3 - سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) الآية 7.
4 - انظر في فقه التدين 16/1 وفقه الواقع ضوابط وأصول ص 50 - 51.
5 - المرجع السابق 120/1.

الناس من خلال ما درسه في الفترة الماضية، دون النظر لما استجد من مخترعات في وسائل العلاج لأصبح طبيبا متخلفا عن الركب، فجديد اليوم يصبح قديما في الغد وهكذا.

ولا أبالغ إن قلت: إن الذي ينقطع عن متابعة الأحداث بضعة أشهر، يحتاج إلى فترة اطلاعية مكثفة ليتمكن من ملاحقة الأحداث من جديد. وبخاصة في عصرنا الحاضر، الذي أصبح فيه العالم كقرية، ما يقع فيه شرقا يؤثر يوميا على غربه.

وإذا وقع حادث ذو بال في أمريكا، أثر على أسواق اليابان في اليوم نفسه. وارتفاع الأسهم في (وول ستريت) بلندن يؤثر على قيمة المارك في ألمانيا. ومن هنا لا بد لعن أراد أن يفقه "فقه الواقع" أن يكون على سعة الاطلاع مع التجديد والاستمرار فيه[1].

4- القدرة على الربط والمقارنة والتحليل :

إن قضية المقارنة والربط والتحليل - بعد سعة الاطلاع - مسألة مهمة وأساسية، وبدونهما تكون النتائج خاطئة، وهذان العنصران لا بد أن يبنيا على أساس متين من التأصيل العلمي، والتجربة العملية ، مع قدر من الموهبة والذكاء، يساهم في تحقيق المناط وتخريجه وتنقيحه.

وموضوع الربط والمقارنة والتحليل، عملية معقدة متشابكة، تخضع لعدة اعتبارات، ومجموعة عوامل، تختلف من واقع لواقع، ومن حدث لحدث. ومن زمن لزمن،ومن بلد لبلد، ومن شعب لشعب. فيحتاج ممن يخوض عماره أن يملك القدرة الفائقة لذلك.

5- التفاعل الإيجابي مع الواقع

من أجل أن تفهم الواقع لا بد أن تعيش هذا الواقع وتتفاعل مع الأحداث تفاعلا إيجابيا، وأن تكون مؤثرا فيه، وعاملا متحركا متجاوبا مع الأحداث حسب الحاجة والطاقة.

فالطبيب الذي يقبع في بيته بعد تخرجه. لا يفتح عيادة، ولا يكشف على المرضى. ولا يجرى العمليات، ولا يتابع المستجدات في تخصصه، لا يمكن أن يكون طبيبا ناجحا وإن أصاب مرة أخطأ مرات، وقد يكون علاجه مهلكا للمريض فكذلك المعتزل لحياة المسلمين، البعيد عن شئونهم وشجونهم، عن آلامهم وآمالهم، لا يؤثر ولا يتأثر، هذا مهما كتب وحلل وناقش، فسيبقى تحليله باردا ساذجا غير مفيد في كثير من مضامينه[2].

---

1 - فقه الواقع: ص 29 – 30.
2 - فقه الواقع ص33.

وقد شهد التاريخ الإسلامي العديد من الحركات الإصلاحية، الهادفة إلى تغيير الأوضاع المنحرفة عن مقتضيات الدين، وهذه الحركات لا ينقصها في أغلب الأحوال الإخلاص في القصد، والإنبناء على أصول من الحق النظري، ولكن أكثر ما كان يأتيها من فشل في النتائج أو من ضمور فيها كان يأتيها من قصور في تمثل الواقع الإنساني والتفاعل الإيجابي، فتفشل في تغيير الواقع وإصلاحه[1].

وإذا كان الإسلام دينا واقعيا. إذ لا يمكن عقلا وبداهة إلا أن يكون واقعيا وإن من واقعيته مراعاة حالة المكلف وظرفه وطاقته. فإن فقه الإنسان يغدو عاملا بالغ الأهمية في التدين ولا يقل أهمية عن فهم الدين نفسه[2].

6- حسن اختيار المصادر:

مشكلة فقه الواقع تباين مصادره وتنوعها وتعددها، فمن مصادر إسلامية إلى مصادر مادية، ومن مراجع قديمة إلى مراجع معاصرة. ومن أخبار المسلمين إلى أخبار الكفار والملحدين. وهكذا دواليك.

ولذا أصبح حسن اختيار المصادر مهمة صعبة وأساسية، فتحتاج إلى دقة وعناية. فكم رأينا بعض المتأثرين ببعض وسائل الإعلام الغربية حتى أصبح بوقالها، يبث أفكارها ويردد أهدافها دون وعي منه أو شعور.

وسأبين أصول موارد فقه الواقع وأنواع هذه الموارد تاركا اختيار آحادها لطالب العلم ليختار ما يناسب الأمر الذي يبحث فيه.

أولا: القرآن الكريم: هو المصدر الأول والأساس: فهو الهادي إلى كل خير والمعين على فهم كل قضية فلو أخذنا مثلا قضية معاصرة مزمنة وهي: "الصراع مع اليهود" لوجدنا أن أقوى المصادر لفهم أبعادها ومجرياتها كتاب الله وذلك من خلال:

1. الآيات التي تحدثت عن طبيعة اليهود وحقيقتهم وأخلاقهم حتى مع خالقهم جل وعلا.
2. الآيات التي خلدت سيرتهم مع موسى عليه السلام منذ أن أرسل إليهم وحتى قصة التيه.
3. تاريخ اليهود مع أنبيائهم "ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون"[3].
4. موقفهم من العهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم والتي أخذها أنبياؤهم فتاريخهم حافل بنقض العهود والغدر والخيانة (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) [4].

---

1 - في فقه التدين 121/1 وفقه الواقع ضوابط وأصول ص 32 – 33.
2 - انظر في فقه التدين ص9/2.
3 - الآية 87 من سورة البقرة.
4 - الآية 100 من سورة البقرة.

5. وأخيرا موقفهم من الإسلام وصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم. وقد قام المفسرون بجلاء هذه القضية بما يشفى الغليل وإن شئت فارجع إلى ما كتبه سيد قطب رحمه الله في أول سورة الصف، وعلى الذين يتصدون لمعالجة قضية فلسطين أن يرجعوا للقرآن أولا[1].

ثانيا: السنة النبوية: حيث نجد من القواعد الشرعية ما يعين على فهم الواقع، واتباع الأسلوب الأمثل في معالجة قضاياه ومستجداته، خذ مثلا أحاديث الفتنة وبيان مطلعها والمخرج منها، فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يعيش بيننا يرى الفتن التي تعصف بنا ويوجهنا - بأبى هو وأمي - إلى سبل النجاة منها.

ثالثا: سير السلف. إن دراسة سيرة السلف من القادة والمصلحين نبراس يضيء الطريق ويعين على فهم الواقع، ومواجهة الأزمات والخروج من المحن، إن تجارب هؤلاء القادة، تراث ضخم، يعطي سعة في الأفق، وبعدا في الرؤية وتصورا متزنا للمستقبل، وقدرة على تخطي الصعاب بإذن الله. تأمّل موقف أبى بكر يوم الردة، وانظر سيرة عمر تجاه الفتن، وتمعّن في مواقف الأئمة كأحمد بن حنبل، والعز بن عبد السلام وابن تيمية وغيرهم تجد سعة الأفق، وبعد النظر، وفقه الأحداث والنوازل.

رابعا: دراسة التاريخ وفقه السنن: الله تعالى أمرنا بالتأمل في أحوال من قبلنا، والسير في الأرض فقال سبحانه (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ...) [2]. وقص علينا القرآن احداث الأمم السابقة " كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ...) [3]. ودراسة التاريخ تبين سنن الله في الأمم والمجتمعات.

والمتخصص في فقه الواقع يجب أن يعنى بدراسة التاريخ، فهو رصيد ضخم زاخر، فيه العبر والعظات، وقلّ أن يمر حدث معاصر إلا وله شبيه في الماضي، مما يعين على فهمه وتحليله، وفقه الحاضر مستمد من فقه الماضي. وتوقع المستقبل مبني على السنن الجارية.

خامسا: المصادر السياسية: وأعنى بها ما كتبه السياسيون المعاصرون والمتقدمون الذين قضوا سنوات طويلة في غمار السياسة ودهاليزها وكذلك الكتب التي تبحث في العلاقات الدولية ودور المنظمات المختلفة.

سادسا: المصادر الإعلامية المسموعة أو المرئية أو المقروءة كالصحف والمجلات والاذاعات والتلفزيون والأشرطة والوثائق، إلى غير ذلك من الوسائل الإعلامية المعاصرة.

وهناك كتب وبحوث تعني بفقه الواقع وتحدثت عن الواقع مباشرة، كواقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب وأعيد التاريخ نفسه للأستاذ محمد العبدة و"في فقه التدين"

---

1 - فقه الواقع ص 65.
2 - الآية 42 من الروم.
3 - الآية 99 من طه.

للدكتور عبد المجيد النجار وفقه الواقع للدكتور ناصر العمر مما يساعد على استيعاب الواقع وفهمه.

وبعد؛

فإن الموضوع أهم من مجرد ثقافة وأخطر، بل لا أعدو الحقيقة إذا قلت: إن مستقبل الأمة قد يتوقف على مدى فقه الواقع والتعامل معه. فقد تتخذ مواقف مصيرية. لم تبن على أسس واقعية علمية تؤدي بحياة الأمة إلى مهاوى الرّدى. فحرىّ بكل طالب علم أن يهتم به إذ هو أساس لكثير من الأحكام والمواقف، والله من وراء القصد، وهو الموفق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

1. القرآن الكريم.
2. أوليات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، تأليف الدكتور يوسف القرضاوي طبع أبريل 1990م.
3. جامع الترمذي للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذي (مع شرحه تحفة الأحوذي) طبع دار الفكر للنشر والتوزيع دمشق، الطبعة الثالثة 1399هـ.
4. سنن ابن ماجة للإمام محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
5. سنن أبي داود للإمام سليمان بن الاشعث السجستاني طبع دار الحديث. سورية، الطبعة الأولى 1970.,
6. السيرة النبوية لابن هشام، طبع بشركة الطباعة الفنية المتحدة بمصر (بدون تاريخ).
7. صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، مطبوع مع شرحه فتح الباري، الطبعة السلفية بمصر.
8. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، مطبوع مع شرحه للإمام النووي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
9. فقه الواقع، مقوماته، آثاره، مصادره، للدكتور ناصر بن سليمان العمر، طبع دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى 1412هـ.
10. فقه الواقع ضوابط وأصول للأستاذ أحمد بوعود، طبع مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف بقطر، ضمن سلسلة "كتاب الأمة" (العدد 75).
11. في فقه التدين فقها وتنزيلا للدكتور عبد المجيد النجار طبع وزارة الأوقاف بقطر ضمن سلسلة "كتاب الأمة" (العدد 20).
12. وصية الإمام أبى حنيف، لتلميذه يوسف بن خالد البصري طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي 1355هـ.